شعر المقاومة الفلسطيني ومواضيعه المتواترة من منظور عبد الوهاب المسيري
مقاربة نقدية لكتاب "فلسطينية كانت ولم تزل"

Palestinian resistance poetry and its recurring themes from the perspective of Abdel Wahab El-Messiri: A critical approach to the book "Palestinian Was and Still Is".

عمّاري فاطمة[1]
مخبر الدراسات الأدبية والنقدية
جامعة لونيسي علي (البليدة2)
ef.ammari@univ-blida2.dz

تاريخ الوصول 2024/12/24 القبول 01/29/ 2024 النشر على الخط 2024/06/01
Received 24/12/2024 Accepted 29/01/2024 Published online 01/06/2024

ملخص:

التزم المفكر المصري عبد الوهاب المسيري خلال مسيرته العلمية والفكرية بمساندة وتأييد القضية الفلسطينية، فدافع عنها بسلاح العلم والمعرفة والعقل، واخترق عدوّها دراسةً وتحليلا بفكر موسوعيّ مغاير لما سبق، فعالج أكثر القضايا حساسية في دائرة الصراع الفلسطيني الصهيوني، فكريا وسياسيا وثقافيا وأدبيا، فاعتنى بشعر المقاومة وخطابه في كتابه الشهير "فلسطينية كانت ولم تزل"، الذي قدم فيه قراءة ناقدة لنماذج من الشعر الفلسطيني المنتفض.

ونسعى في هذه الدراسة تحليل مفهوم الشعر الثوري وعلاقته بالمقاومة من منظور المفكر عبد الوهاب المسيري، وفق مقاربة نقدية لمضمون هذا الكتاب، والذي حاول فيه المسيري بيان جماليات شعر المقاومة وأبرز سماته، مع رصد لأهم الموضوعات المتواترة فيه والكامنة في قصائده الثائرة.

الكلمات المفتاحية: شعر المقاومة، عبد الوهاب المسيري، القضية الفلسطينية، الموضوعات الكامنة.

Abstract:

Egyptian thinker Abdel Wahab El-Messiri committed to supporting the Palestinian cause, and defended it with the weapons of science, knowledge, and reason. With his different encyclopedic thought, he studied the most important issues of the Palestinian-Zionist conflict intellectually, politically, culturally and literary. He also paid attention to the poetry of resistance in his famous book, "Palestinianism Was and Still Is."

In this study, we seek to analyze the concept of revolutionary poetry and its relationship with resistance from the point of view of the thinker Abdel-Wahab El-Messiri, while clarifying the aesthetics of resistance poetry, and its most prominent and important features. Recurring themes included in his revolutionary poems.

Keywords: Resistance poetry, El-Messiri, the Palestinian issue, underlying themes.

[1]المؤلّف المراسل: **عمّاري فاطمة**. البريد الإلكتروني: **ef.ammari@univ-blida2.dz**

1. مقدمة:

تعدّ القضية الفلسطينية قضية ذات أبعاد تاريخية وإيديولوجية خاصّة جدا، لا تشبهها قضية ولا تفسّرها مقولات أو نظريات، تجسّد مقاومة شعب ونضال شوارع وصمود مدن، فالمقاومة هي فلسطين، وفلسطين هي أرض المقاومة، وقد تجلّت صورها أدبيا في شعر المقاومة، وفي سرديات المنفى، وفي ثقافة الانتفاضة، وفي فكر ووعي الإنسان الفلسطيني الأصيل، أما الأدباء فقد التزموا أدبا يشحن النّفوس وينير العقول ترسيخا لشرعية النّضال الفلسطينيّ من أجل تحرير الأرض، وحماية الذاكرة، وصون الهوية، وتحقيق الانتماء القوميّ، فكانت القصائد الشّعرية خير صادح بحق فلسطين وشعبها في الانعتاق والتّحرير.

ومن المفكرين الذين أولوا هذه القصائد أهمية بالغة المفكر والأديب وأستاذ الأدب المقارن والناقد المناضل عبد الوهاب المسيري، الذي اعتبرها لسانا ناطقا معبرا عن حياة أجيال متعاقبة عاشت المقاومة بكل تفاصيلها، فأفرد لشعر المقاومة مؤلفا هاما صدر بالقاهرة في سنة 2001، بعنوان: "فلسطينية كانت ولم تزل"، الذي أرفقه بعنوان فرعي "الموضوعات الكامنة المتواترة في شعر المقاومة الفلسطيني".

وبغية استيعاب مضامين هذا الكتاب وتحقيقا لفهم نقدي لما جاء به، نسعى في هذه المقاربة بيان موقف المسيري من شعر المقاومة، بالإجابة عن طروحات إشكالية جوهرية تتمثل في: ما الذي ميّز قصائد شعر المقاومة شكلا ومضمونا؟ وما هي أهم الموضوعات التي أفصحت عنها هذه القصائد؟ وفيم تكمن خصوصية هذا الخطاب الشعري؟ وفيم تجلت فرادته الجمالية والإبداعية؟.

وإجابة عن كلّ ذلك سنتبع مسارا منهجيا يعتمد نقد النقد كمقاربة منهجية ذات أبعاد وصفية وتحليلية ونقدية، تتيح لنا القيام بعملية رصد مكونات الكتاب وتتبع مضامينه وإبراز القضايا التي يطرحها، مع العمل على بسط أهم الأفكار التي شكّلت جوهر فكر عبد الوهاب المسيري عن شعر المقاومة.

2. المسيري والقضية الفلسطينية:

بفكر موسوعي عالج عبد الوهاب المسيري قضايا المقاومة الفلسطينية وانتفاضات التّحرير، ملامسا أكثر المسائل حساسية على مستويات متعدّدة، السياسيّة والاجتماعيّة والثقافيّة والقوميّة، فأثرى المكتبة العربيّة بعشرات المؤلفات من موسوعات ودراسات ومقالات باللغتين؛ العربية والإنجليزية.

وقد أولى المسيري القضية الفلسطينية اهتماما بالغا خلال تحليله لطبيعة الصّراع العربيّ الصهيونيّ، في دراسته للنّماذج المعرفيّة والإدراكيّة الكامنة وراء كل من الانتفاضة الفلسطينية وردّ الصهاينة بالقمع، فهم يعتبرون أرض فلسطين أرضا بلا شعب[1]، وبالتالي أضحت هذه الأرض أرضهم والشعب الفلسطيني تمّت إبادته لفظيا[2]، لذا يرى المسيري في المقاومة سرّ البقاء، وفي الانتفاضة فعلا مؤديا إلى نهاية إسرائيل المحتومة.

وكان المسيري في مواقفه ملتزما بفكرة النّضال وجوهر المقاومة، معجبا بصمود الشّعب الفلسطينيّ في الدّفاع عن وطنه وأرضه وجذوره ولغته ودينه وقوميته، ومعجبا كذلك بمظاهر المقاومة التي فعّلها هذا الشّعب الأبيّ رفضا للاستيطان الصهيونيّ، والتي اتخذت

[1] – ينظر: عبد الوهاب المسيري: من الانتفاضة إلى حرب التحرير– أثر الانتفاضة على الكيان الصهيوني، جمعية مصر للثقافة والحوار، القاهرة، ط1، 2002، ص139.

[2] – ينظر: عمر بطيشة: شاهد على العصر–عبد الوهاب المسيري، مؤسسة فكر يصنع حضارة، القاهرة، ط1، 2011، ص140.

من الحجر رمزا ناطقا للصّمود والمواجهة، فهو "حجر فلسطينيّ التقطه من الأرض الفلسطينيّة شاب فلسطينيّ غاضب، ألقى به على عدوّ غاصب يحمل آلة الدّمار"[1]، فاعتمد المقاومة المسلّحة والمقاومة الشّعبية والمسيرات السّلمية والعصيان المدنيّ والمقاطعة التّجارية والمقاومة الإعلاميّة وغيرها من سبل الكفاح، والتي لا تقوم قائمتها بغير وعيّ فكريّ يجسّد الإدراك العميق لأهمية الرّفض وعدم الخضوع.

قدم المفكر عبد الوهاب المسيري رؤيته النّهائية عن القضية الفلسطينيّة من خلال مؤلفه "الانتفاضة الفلسطينية والأزمة الصهيونية"، والتي تشكّل خلاصة طروحاته ودراساته وتحليلاته للمسألة، بتقديم الحلّ الأمثل لهذه القضية، معتبرا الانتفاضة السّبيل الوحيد لكينونة الإنسان في فلسطين، الذي حاولت القوى الصهيونيّة المتعدّدة تسخيره لخدمتها بكلّ الأشكال، فأصرّت على طمس وجوده ومحو آثار أحقيته في الأرض، لذا فبالمقاومة فقط تتمّ عملية استرجاع الهوية التي سلبت[2]، وفي هذا الصدد يؤكد المسيري بأنّ حرب التحرير الفلسطينيّة هي وحدها الكفيلة بترشيد الصهاينة وجعلهم يدركون أنّ "فلسطين ليست (أرتس سيرائيل) وأنّ للفلسطينيين وجودا متجذرا في وطنهم"[3]، وقد فهم الشّعب الفلسطينيّ ذلك جيدا، فجسّد وعيه بالقضية في فعل المقاومة.

وبتبني الفلسطيني الدّعوة للنّضال استرجاعا للأرض أبدع الفرد والجماعة على السواء في صور مقاومتهم وصمودهم، فتجلّت في التّنظيم والقيادة، وفي طريقة القتال فرًا وكرًا، وفي إنشاء مناطق محرّرة ونظم بديلة، وفي وسائل الاتصال المبتكرة، وفي توظيف الأغاني والرّقصات، وفي جثمان الشهداء، وفي إشعال النيران، وكلّ أشكال التّكافل الاجتماعي[4]، وفي المواصلة والاستمرار النّضالي، وفي إشعال جذوة الانتفاضة بعد كلّ عملية صدّ وردع وقمع صهيونيّ.

وفي الأخير يثبت المسيري أنّ فعل المقاومة قائم ومستمّر رغم قلّة الدّعم والتّمويل، فأسباب البقاء والحياة بالنسبة للفلسطينيّ تكمن في داخله، على عكس الكيان الصهيونيّ المدعوم والمموّل من الخارج، وبذلك فإنّ عوامل بقائه لا توجد داخله[5]، وإن توالت انتصاراته على هذا الشّعب الأعزل فستصل به هذه الأسباب إلى نهايته المحتومة.

3. فلسفة المقاومة بالشعر ومدلولاتها:

المقاومة مشروع حضاري تجسّده إرادة شعب أو أمة في التّحرر من العدوّ الغاصب، وتتجلى صورها في الأدب نثرا وشعرا، ويعدّ شعر المقاومة من أهم تجليات الأدب الفلسطينيّ المعاصر، الذي نفذ إلى قلوب العرب جميعا من خلال قصائد لشعراء من أمثال: محمود درويش وسميح القاسم وفدوى طوقان، الذين أسّسوا لهذا النّوع الجديد من القصيد، فصنعوا به إرثا جديدا للمقاومة والنّضال. يعبّر به الشّاعر عن ذاته الواعية والتزامه تجاه أرضه وشعبه وهويته الثّقافيّة، متطلّعا إلى الحرية، مواجها بالنّظم والنّغم الاحتلال والاضطهاد، في سعي منه إلى تحريك المشاعر والأحاسيس، وتحفيزا للنّضال والصّمود.

---

[1] – ينظر: عبد الوهاب المسيري، الانتفاضة الفلسطينية والأزمة الصهيونية، دراسة في الإدراك والكرامة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط1، 2000، ص92.

[2] – ينظر: نفسه، ص19.

[3] – عبد الوهاب المسيري: من الانتفاضة إلى حرب التحرير ص25.

[4] – ينظر: عبد الوهاب المسيري، الانتفاضة الفلسطينية والأزمة الصهيونية، ص94.

[5] – ينظر: عمر بطيشة: شاهد على العصر–عبد الوهاب المسيري، ص134.

يرى عبد الوهاب المسيري في شعر المقاومة الفلسطينيّ طاقة تعبيريّة عن الأمل العربيّ الفلسطينيّ بمصير القضية، وليس تعبيرا عن اليأس والخذلان، إذ يعتبره نموذجا انتفاضيّا ضد قوى البطش، وصورة من صور المقاومة الثّقافية الواعية بأهدافها وغاياتها، فهو صوت الشّعب الذي يناضل لاسترجاع ما سلب منه، لذا سلّح الإنسان الفلسطينيّ نفسه بكلّ ما أمكنه من وسائل ماديّة ومعنويّة للنّضال، فلجأ المثقف منهم إلى فكره ولغته وذاكرته وشاعريته تجسيدا لفعل المقاومة، حبا للوطن وتمسّكا بالأرض ورغبة في استرجاع التّاريخ المنتهك.

ففي مستهل كتاب "فلسطينية كانت ولم تزل" يؤكد المسيري على ضرورة فهم شعر المقاومة لا باعتباره ردا على المشروع الصهيونيّ فحسب، بل يعدّه حلقة طويلة ممتدّة من ثورة العالم العربي ككلّ، فالفلسطينيون لم يقاوموا المحتل الصهيونيّ فقط، وإنما ثاروا على الاحتلال الإنجليزيّ، كغيرهم من الشّعوب العربيّة التي تعرّضت لهجمات إمبرياليّة عديدة، لذا يعدّ هذا الشّعر جزءا من كلّ حضاري مركب[1].

وقد أنتج شعر المقاومة الفلسطينيّ قصائد فنيّة وإبداعية ثوريّة صدحت بها الحناجر مطولا، تضمنت وعيا عاليا بصلب القضية، عبرت عن دلالات قوميّة ذات صلة وثيقة بالسّياقات التّاريخيّة والصراعات الأيديولوجيّة والأحداث الجارية، فكان خطابا شعريّا ملتزما –قضية ولغة– بواقع الفلسطينيّ المناضل، ومعبّرا عن وجدانيّة المرابط المقاوّم، لذا يرى عبد الوهاب المسيري أنّ في القراءات الشّعرية المبثوثة عبر أثير الإذاعات العربيّة باللّغة العربيّة الفصحى، وبأصوات شعراء فلسطينيين مقاومة ذات أبعاد قوميّة؛ "فحينما سمع العالم صوت محمود درويش وسميح القاسم وتوفيق زياد لأول مرة كان ثمّة فرح عميق هادئ، لأنّ هذا الصوت كان علامة على أنّ فلسطين لم تزل عربية"[2]، فكان دليلا على الانتماء العربيّ للقضية، فرغم الإحساس بالغربة والشّتات ورغم المضايقات والانتهاكات في فلسطين المحتلة؛ حافظ الشّاعر الفلسطينيّ على لغته وفصاحته وإبداعه.

ففلسطين بمقاومتها الشّعرية أكدّت صمودها اللّغويّ وانتماءها القوميّ العربيّ، وأصرّت أن يكون شعرها شعرا عربيّا يحمل لواء العرب والعروبة[3]، وحفظا من الشّاعر المقاوم على قوميته وهويته وترسيخا لعربية لسانه ماضيّا وحاضرا ومستقبلا.

وفي السّياق نفسه يشير المسيري إلى دلالات العلاقة الكامنة بين الشّعر الثّوريّ والثّورة ومدى وعي الشّاعر بمفهوم المقاومة، معتبرا شعر المقاومة مقاومة في حدّ ذاتها، ففي أسطره الشّعرية تحرّر وانزياح عن أوزان الشّعر المألوفة، وفي قوالبه التّعبيريّة ومعانيه المبتكرة عدول عمّا هو متعارف عليه، تماشيا ومسايرة لغايات التّحرير والنّضال، يشابه في ذلك جوهر المقاومة تماما؛ التي لا تلتزم بالشّكل أو الحدود وقيم الثّبات والاتزان، لانشغالها بتغيير الواقع، وهو ما يجعل العلاقة بينهما علاقة مركّبة، فالشّاعر الثّوري ينطلق من رؤية مركّبة تفترض الانفصال النّسبيّ للشّكل عن المضمون، نظرا لنوعية العمل الفنيّ المنجز من قبله، فينادي بالتّغيير والرّفض وعدم

[1] – ينظر: عبد الوهاب المسيري، فلسطينية كانت ولم تزل– الموضوعات الكامنة المتواترة في شعر المقاومة الفلسطينية، دار الطباعة المتميزة، القاهرة، ط1، 2001، ص7.

[2] – السابق، ص11.

[3] – ينظر: نفسه، ص12.

الخضوع، تعبيرا عن الرّؤية التي يحملها في قلبه وعقله عن الواقع والأوضاع السّائدة، وإفصاحا منه عن الواقع المستقبليّ الذي يدعو له ويبشّر به[1]، وهو ما يجعله دائم البحث والتّجريب تحررا واستقلالا ورفضا للأشكال الفنيّة القديمة.

ثم إنّ الدّلالة الحقيقيّة لشعر المقاومة وما يحمله من جماليات فنيّة ورؤى فلسفيّة لا يفسّر من خلال اللّغة وما تضمّه الكلمات أو تحتويه الصّور فقط، بل يمتد إلى موضوعها الأساسيّ الذي احتواه الشّاعر فجعله مقاوّما ومحاربا وشهيدا، وتتجلى دلالتها واقعا حين يمسي الإنسان تجسيدا فعليّا وواقعيّا لكلمته وشعره حين يستشهد[2]، فعوضا أن تخط أنامله الكلمات المقاومة، وبدلا من أن يدق قلبه بحلم المقاومة والتّحرير، يعدّ استشهاده الشّكل الوحيد الكامل لفعل المقاومة، وهو ما يؤكده الواقع الفلسطينيّ، فالمقاومة الفلسطينيّة هي أكثر ثورة استشهد من أجلها الأدباء والشعراء، من أمثال: عبد الرحيم محمود، كمال ناصر، غسان كنفاني، كما أنّها من أكثر المقاومات التي أسالت حبر الأدباء والشّعراء والروائيين، ففي كلّ مكان احتوى نَفَسا فلسطينيّا تعلو كلمات المقاومة، من البيوت والمخيمات والسّجون والمعتقلات ومن المنافيّ، شعرا ونثرا.

ولم يغفل المسيري عن تحليل مسألة هامّة قد تضمّنها شعر المقاومة عند الفلسطينيين، تتعلق بالرّوح الحيّة والمعانيّ الإيجابيّة المبثوثة في قصيد المقاومة، فقد شحن الشّعراء أبياتهم بالأمل والتّفاؤل والرّغبة في الحياة، ويرى أن ذلك لم يكن اعتباطيا أو ناتجا عن فراغ، بل كان حصيلة إدراك عال بغايات المقاومة، والتزاما من أصحابها بعدالة القضية وشرعيتها، ونتيجة حتميّة لحرب تحرير يخوضها شعب مضطهد[3]، وإيمانا بأنّ لحظة هيمنة الآخر لحظة تاريخيّة عابرة، وأنّ الكيان الصهيونيّ استيطانيّ ليس له مستقبل، وهي رؤية فلسطينيّة يتجاوز بها الشّاعر نزيف واقعه[4]، ليس هروبا منه بل تشييدا لأعمدة جسر الوصول المرتقب، كما أنّها تعبر عن نظرة عميقة راسخة عند أدباء المقاومة عامّة، تربط ربطا محكما بين التّعبير عن الواقع الاجتماعيّ وتجسيد الغايات السياسيّة للمقاومة، باعتبارهما طرفين لصيغة واحدة لابد من تلاحمهما لتقوم بمهمة المقاومة[5]، وهو الأدب الذي خاض معركة التزاماته انتصارا لغاية التّحرير، وانتماء أصيلا لجمهوره الحقيقيّ ولقضيته الشرعية، ولذلك وضع هذا الشعر في مقدمة الحركة الثقافية العربية الراهنة[6]، فلم يمارس أصحابه التّخلي ولا التّنصل، بل مارسوا شاعريتهم وقوميتهم بمسؤولية وإدراك.

وبهذا تتبلور رؤية عبد الوهاب المسيري لمفهوم شعر المقاومة الفلسطينيّة، والتي يرى في قصائدها تعبيرا عن واقع ظالم يحدّق بالمقاوّم، وهو ما يفسّر سعي ناظم الشّعر الثّوري إلى تجاوز هذا الواقع، ناهضا بانشغالات مجتمعه، حاملا لكلماته ويقاتل، فينتصر وينكسر، ولكنه لا يستسلم قط، ففي كلّ قصيدة تنظم قصة نضال شعب وكفاح أمة وصبر ومواجهة ضد العدوان المتعدّد، الانجليزيّ والصهيونيّ والأمريكيّ[7]، ليكون هذا الشّعر مثله مثل أدب المقاومة نموذجا تاريخيّا لثقافة المقاومة، بكلّ ما فيها من وعي وصمود

---

[1] – ينظر: نفسه، ص 22، 23.

[2] – ينظر: نفسه، ص26.

[3] – ينظر: عبد الوهاب المسيري: من الانتفاضة إلى حرب التحرير، ص130.

[4] – ينظر: عبد الوهاب المسيري، فلسطينية كانت ولم تزل، ص77.

[5] – ينظر: غسان كنفاني: الأدب الفلسطيني المقاوم تحت الاحتلال 1948-1968، منشورات الرمال، قبرص، ط1، 2013، ص59.

[6] – ينظر: نفسه، ص121.

[7] – ينظر: عبد الوهاب المسيري، فلسطينية كانت ولم تزل، ص38.

وصلابة، بكلّ ما فيها من استمرار وتصاعد وعمق[1]، اتّسم بنبرة التّحدي فأنعش الذّاكرة واستردّ الحقائق وذاد عن الهوية الفلسطينيّة وتشبث بالأرض.

4. المواضيع المتواترة في شعر المقاومة الفلسطينية:

يقدم عبد الوهاب المسيري في كتابه "فلسطينية كانت ولم تزل" نماذج عن شعر المقاومة الفلسطينية، خلال الفترة الممتدة من سنة 1960 إلى 1980 –والذي قد يعبر عن امتداد لدراسة غسان كنفاني "الأدب الفلسطيني المقاوم تحت الاحتلال" من الفترة الممتدة من 1948 إلى 1968–، وهي قصائد اختار دراسة مضامينها وتحليل أهم المواضيع التي عالجتها، بحثا عن الكامن والمتواتر فيها، وفهما لطبيعة شعر المقاومة ورصدا لجمالياته، وبيانا لالتزام الشعراء الفلسطينيين بالقضية واللغة والهوية، رغم اختلاف اتجاهاتهم الأدبية والفكرية.

وفي هذه المرحلة من الدراسة سنقدم لمحات عن أهم الموضوعات التي تناولها شعر المقاومة، مع تحليل مقاصد أصحابها وأهدافهم الثورية من نظمها، مع بيان علاقتها بمفهوم المقاومة.

4. 1. في المراثي الفلسطينية:

تعبيرا عن اللحظات المظلمة التي يعيشها الشعب الفلسطيني نظم شعراء المقاومة قصائد عديدة عن موضوع الرثاء، باعتباره لحظة مظلمة عابرة تترك في النفوس ندوبا وجروحا يشق التئامها، لحظة تعبير عن الحزن الإنساني، والأسى النفسي المصاحب للشعور بالفقدان الأبدي، ففيها يتأمل الشاعر الفلسطيني طبيعة المأساة الفلسطينية والجرح الفلسطيني[2]، تعبيرا عن الحزن الصامت المقاوم للموت، وما يتوّلد عنه من مشاعر الضياع والضعف والاحتجاج والرّفض، وفي هذا السّياق قدم المسيري نماذج عديدة من شعر المراثي، منها قصيدة "مدينتي الحزينة" للشاعرة فدوى طوقان[3]، التي تقول فيها:

اختفت الأطفال والأغاني
لا ظل، لا صدى
والحزن في مدينتي يدبّ عاريا
مخضب الخطى
محمل
بوطأة الموت والهزيمة.

4. 2. في حب فلسطين:

الشعراء الفلسطينيون الواحد تلو الآخر لا يتركون فرصة تأتيهم للبوح بحبهم الأبدي لوطنهم، وتعلّقهم بمدنهم وشوارعهم وأريافهم وتفاصيل فلسطينية أرضهم، كدليل وفاء وانتماء والتزام وقومية، فالشاعر صادح بحبه وعشقه للحبيبة فلسطين، فهي "فلسطين

[1] – ينظر: غسان كنفاني: الأدب الفلسطيني المقاوم تحت الاحتلال، ص10.
[2] – ينظر: عبد الوهاب المسيري، فلسطينية كانت ولم تزل– ص31.
[3] – نقلا عن: نفسه، ص97.

الحبيبة التي تستوعب كل حب الشعراء وتحتكر لنفسها كل كلمات العشق والغرام"[1]، وقد عرض المسيري نماذج متنوعة لقصائد الشعراء عن حب فلسطين، ولعل أبرزها قصيدة "عاشق فلسطين" رائعة "محمود درويش"، التي اختارها لما تتضمنه من خروج عن المألوف الشّعري، إذ تبدأ كمرثية ثم تتحوّل إلى أغنية حب، لتنتهي بأنشودة انتصار عجيبة: يقول في بعض منها[2]:

من رموش العين سوف أخيط منديلا
وأنقش فوقه شعرا لعينيك
واسما حين أسقيه فؤادا ذاب تراتيلا
يمد عرائش الأيك
سأكتب جملة أغلى من الشهداء والقبل
"فلسطينية كانت ولم تزل!"

ففلسطين ملجأ الشعراء وملاذ عشاقها، يحبونها كما هي، ويقبلونها كما هي، ويظلون أوفياء لها ثابتين على حبهم، فهي عندهم كل شيء وفوق كل شيء.

4. 3. قصائد الصمود:

ولعلّ أبرز المواضيع الكامنة في شعر المقاومة الفلسطينيّ موضوعة الصّمود، الذي يمتلكه الفلسطينيون كبارا وصغارا وبوفرة لا نظير لها، صمود الأرض وثبات صخورها وجدران شوارعها وأزقة أحيائها العتيقة، والتي تعبّر عن اتحاد الشّعب وتمسكه بجذوره الضاربة، وهويته وذاكرته وتشبثه بالدّيار والأرض[3].

ومن أجمل القصائد التي استشهد بها المسيري في دراسته قصيدة "نيران المجوس" للشاعر "توفيق زياد" التي يقول فيها[4]:

على مهلي
لأني لست كالكبريت
أضيئ لموت ... وأموت
ولكني..
كنيران المجوس... أضيئ..
من مهدي إلى لحدي!
ومن سلفي إلى نسلي!
طويل كالمدى نفسي
وأتقن حرفة النمل.

[1] – نفسه، ص 46.
[2] – نقلا عن: نفسه، ص120.
[3] – ينظر: السابق، ص56.
[4] – نقلا عن: نفسه، ص142.

فالفلسطيني مرتاح النّفس عارف بالتّاريخ والأصل، مطمئن إلى جذوره في الأرض، وعنده متّسع من الوقت كي يكون صامدا محافظا على برودة أعصابه، فرغم قسوة ظروف الحياة ونيران العدوّ يصون هدوءه وصلته بالأرض، تماما كتعلق النّمل بمملكته الممتدّة تحت الأرض، في صورة عظيمة لمتانة النّفس المقاومة وصمودها.

4. 4. قصائد المقاومة والثورة:

ولأن فلسطين هي الوطن والأرض والحقيقة؛ يواصل الشعراء مقاومتهم وسلاحهم القصائد والكلمات رغبة في الحرية والعودة، احتجاجا غاضبا وتعبيرا عن عدالة قضيتهم[1]، وفي هذا يقول الشاعر "سميح قاسم" في قصيدته "الرجل الذي زار الموت"[2]:

خلوا القتيل مكفنا بثيابه

خلوه.. في السفح الخبير بما به

لا تدفنوه وفي شفاه جراحه

تدوي وصية حبه وعذابه

لا تغمضوا عينيه !!

إن أشعة حمراء مازالت على أهدابه !

وعلى السهول الصفر، رجع ندائه:

يا آبها بالموت ... لست بآبه !

فقصيدة المقاومة ترفض الموت وترفض دفن جثمان الشّهيد، فهو رمز من رموز الصّمود والمقاومة والثّورة، ثابتا ملتحما بالأرض متمسكا بالتّاريخ والنّضال.

4. 5. أناشيد الانتصار والعودة:

إنّ إيمان الشّاعر المقاوم الجازم بالنّصر يدفع به مضيا نحو الإفصاح عمّا تهفو إليه نفسه من رغبة في تحقّق الخلاص والعودة، وكلّه عقيدة راسخة بحتمية الانتصار ونهاية الأحزان والتئام الجروح، وقد اتخذ من هذا النّمط الشّعري سبيلا للتّعبير عن فرح منتظر واحتفاء بلحظة انتصار موعودة[3]، وفي هذا السّياق يستشهد المسيري بأبيات من قصيدة "النورس" للشاعرة "فدوى طوقان، والتي تستشرف فيها بقدوم الطوفان الذي سينهي حكايات الموت، تقول فيها"[4]:

يا طيري، يا طير البحر

الآن عرفت

وأنا أسمع نداء الموت على الشطآن

كيف إذا جاء الطوفان

---

[1] – ينظر: عبد الوهاب المسيري، فلسطينية كانت ولم تزل– ص66.

[2] – نقلا عن: نفسه، ص159.

[3] – ينظر: نفسه، ص75.

[4] – نقلا عن: نفسه، ص172.

تغتسل الأرض من الأحزان.

إذ تحلق بك الشّاعرة إلى سماء النّورس المحلّق، ثم تغوص بك في بحر الفرح، لتقف شاهدا على الطوفان الذي سيزيل الأحزان، ويقيم العدل في الأرض ويحرر الوطن من المغتصب، ويقضي على الاحتلال.

5. خاتمة:

وختاما؛ يعدّ شعر المقاومة الفلسطينية من منظور عبد الوهاب المسيري صورة من صور الرّفض وعدم الرّضوخ والإذعان، فهو يشكّل مقاومة في حدّ ذاته، مقاومة بالقصيد، ونضالا بالكلمات، وانتفاضة وصمودا وجدانيّا ثابتا، صادرا عن نفوس تشرّبت فكر الالتزام والمواجهة، كما يعتبره ضربا من ضروب الوعيّ الأصيل بأبعاد حرب التّحرير الفلسطينيّة، وإدلاءً بانتماءٍ حقيقيّ لعدالة القضية وشرعية المقاومة.

ويرى المسيري في شعر المقاومة تمثّلا فكريّا من قبل الشّعراء لحقيقة القضية الفلسطينيّة، وبيانا لأبعادها السياسيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة، ورصدا لمختلف مجالات الحياة الواقعية التي يحياها الفرد الفلسطينيّ، لذا تضمّن هذا الشّعر موضوعات ذات صلة وثيقة بالواقع، فتنوّعت وتواترت بين أشعار المراثيّ وقصائد حب فلسطين، وقصائد الصّمود والمقاومة والثّورة، وأناشيد الانتصار والعودة.

فهو يؤكد بأنّ شعر المقاومة لم ينفصل عن هوية الشّاعر الفلسطينيّ العربيّة، السّاعيّ في نضاله الشّعريّ لتسجيل تاريخ الشّعب ورصد معاناة الأمة، موثقا الذّاكرة والأحداث من خلال المواضيع المتنوّعة التي طرقها. فالشّاعر المقاوم يتحوّل من ناظم للقصيدة إلى محارب في سبيل النّصر أو الشّهادة، معبّرا عن حبه للأرض والمكان، ومجاهرا بعشقه الأبديّ للحبيبة فلسطين.

كما يشير المسيري لأهمية اللّغة والعروبة في شعر المقاومة، والتي تبدو واضحة في إنتاج الشّعراء كدليل على عروبة القضية وانتمائها القوميّ، وتأكيدا على عروبة شعر المقاومة الفلسطينيّ.

كما يعتبر عبد الوهاب المسيري شعر المقاومة شكلا من أشكال التّمرد على القيود، يبحث من خلاله الشّاعر المقاوّم عن جبهات جديدة تمنحه فرصة الخروج عن الوضع السّائد، وتمكّنه من تفكيك صورة الشّعر التّقليديّ، في رغبة منه لتحقيق جماليّة شعريّة حيّة، تعبّر عن واقع الحرب والأمل الدّائم في النّصر.

لذا كانت قصائد الشّعراء الفلسطينيين واجهة للمقاومة الثّقافيّة، وردّا بالكتابة والصوت والنّغم على أشكال الاختراق الصهيونيّ للشّعب الفلسطينيّ وللأرض والذّاكرة والهوية، فجاء شعره صامدا مقاوّما معبّرا عن أبرز القضايا والموضوعات التي تشغل حياة الفرد المقاوّم، وكلّ ما يحمله وجدان الشّعب وما يعيشه يوميا بالمقاومة، يعبّر بقوة عن كفاح الشّعب الفلسطينيّ في زمن الانهزاميين[1]، كفاح بدّد الظلمة والأكاذيب والأساطير، وأثبت به الفلسطينيون قدرة شامخة على الصّمود والمثابرة والكفاح، دفاعا عن شرف أمتنا وكرامتها ومصالحها وأمنها، نرجو من صميم أعماقنا ألا نترك هذه اللّحظة التّاريخيّة النّادرة تفلت من أيدينا.

[1] – ينظر: عبد الوهاب المسيري: من الانتفاضة إلى حرب التحرير، ص144.

6. قائمة المصادر والمراجع:

-عبد الوهاب المسيري: الانتفاضة الفلسطينية والأزمة الصهيونية، دراسة في الإدراك والكرامة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط1، 2000

-عبد الوهاب المسيري: فلسطينية كانت ولم تزل- الموضوعات الكامنة المتواترة في شعر المقاومة الفلسطينية، دار الطباعة المتميزة، القاهرة، ط1، 2001.

-عبد الوهاب المسيري: من الانتفاضة إلى حرب التحرير- أثر الانتفاضة على الكيان الصهيوني، جمعية مصر للثقافة والحوار، القاهرة، ط1، 2002.

-عمر بطيشة: شاهد على العصر- عبد الوهاب المسيري، مؤسسة فكر يصنع حضارة، القاهرة، ط1، 2011.

-غسان كنفاني: الأدب الفلسطيني المقاوم تحت الاحتلال 1948-1968، منشورات الرمال، قبرص، ط1، 2013.

References :

-ʻbd al-Wahhāb al-Misīrī : al-Intifāḍah al-Filasṭīnīyah wa-al-azmah al-Ṣihyūnīyah, dirāsah fī al-idrāk wa-al-karāmah, al-Hayʾah al-Miṣrīyah al-ʻĀmmah lil-Kitāb, al-Qāhirah, Ṭ1, 2000

-ʻbd al-Wahhāb al-Misīrī : Filasṭīnīyah kānat wa-lam tzl-al-mawḍūʻāt alkāmnh al-mutawātirah fī shiʻr al-muqāwamah al-Filasṭīnīyah, Dār al-Ṭibāʻah al-Mutamayyizah, al-Qāhirah, Ṭ1, 2001.

-ʻbd al-Wahhāb al-Misīrī : min al-Intifāḍah ilá Ḥarb altḥryr-Athar al-Intifāḍah ʻalá al-kiyān al-Ṣihyūnī, Jamʻīyat Miṣr lil-Thaqāfah wa-al-ḥiwār, al-Qāhirah, Ṭ1, 2002.

-ʻmr Baṭṭīshah : shāhid ʻalá alʻṣr-ʻAbd al-Wahhāb al-Misīrī, Muʾassasat fikr yaṣnaʻu Ḥaḍārat, al-Qāhirah, Ṭ1, 2011.

ghsān Kanafānī : al-adab al-Filasṭīnī al-muqāwim taḥta al-iḥtilāl 1948-1968, Manshūrāt al-rimāl, Qubruṣ, Ṭ1, 2013.